جهود المرأة العربيّة في النّقد الأدبيّ القديم.

الأستاذة: فاطمة صغير
قسم اللغة والأدب العربي
كلية الآداب واللغات
ملحقة مغنّية الجامعية– تلمسان– الجزائر

الملخص:

قليلا، ما يتحدّث الباحثون، عن مساهمة المرأة العربيّة، في الحياة الأدبيّة، إلاّ فيما يتعلّق، بإنتاجها الشّعري، في مجال الرّثاء، وكأنّ قدرتها الإبداعية، موقوفة على ذلك الفن، غير أنّ حقيقة الأمر، غير ذلك؛ لأنّنا نجد لها، إنتاجا أدبيا هاما، تمثّله جملة من الفنون النّثرية، والشّعرية والأكثر من ذلك، نلفي لها أثرا بالغا، في مجال النّقد الأدبي.

وهذا البحث، يكشف أهمّ الملاحظات، والآراء النّقدية، التي ساهمت بها المرأة العربيّة، في بلورة النّقد الأدبي القديم.

يصاحب النّقد الأدب، ويرافقه بغية تمييز جيّد أعماله، فيكشف مواطن قوّتها وضعفها، كما يشي بمواضع جمالها، وقبحها، معتمدا الملكات، والصّفات العقليّة، والنّفسية التي تتحقّق للناقد[1]. ولم يكن الرّجل وحده، قيّما على العمليّة النقديّة، لأنّ المرأة شاركته، في تلك الوظيفة، بعد أن اجتذبتها دنيا الشّعر، بسحر كلماتها.

1– حضور المرأة للأسواق والمنتديات الأدبيّة:

شاع عن العرب، احتفاءهم **باللّقاءات الأدبيّة**، فأعدّوا لها الأسواق والمنتديات، التي لم تكن حكرا على الرّجال فقط، وإنّما اقتحمتها المرأة أيضا، كأديبة وناقدة، تعرض ما أجادت به قريحتها، ولعلّ **سوق عكاظ**، أحفل المجامع الأدبيّة، التي شهدت ارتياد المرأة العربيّة، حيث تشير المصادر القديمة إلى أنّ **الخنساء**، حضرت ذلك المحفل، وأنشدت رئيسه **النابغة الذّبياني** قصيدتها التي منها[2]:[البسيط]

قَــذًى بِعَيْنِكِ أَمْ بِالعَيْـــــنِ عُــوَارُ ❁ أَمْ ذَرَفَتْ إِذْ خَلَتْ مِنْ أَهْلِهَا الدَّارُ
تَبْكِي خُنَّاسُ عَلَى صَخْرٍ وَحَقَّ لَهَا ❁ إِذَا رَابَهَا الدَّهْرُ، إِنَّ الدَّهْرَ ضَرَارُ
وَإِنَّ صَخْــرًا لَتَأْتَــمُّ الهُدَاةُ بِــهِ ❁ كَأَنَّــهُ عَلَــمٌ فِي رَأْسِـــــهِ نَارُ

حَمَّالُ أَلْوِيَـــةٍ هَبَّاطُ أَوْدِيَـــــةٍ ❁ شَهَّادُ أَنْدِيَةٍ للجَيْـــشِ جَرَّارُ

فأُعجب قاضي الشّعر بقولها، وحكم لها بالشّاعرية، والتّفوق على بنات جنسها، فتستأنف هي الحكم، وتجعل نفسها أشعر **النّاس**، رجالا ونساء، دون أن يعترض **النّابغة** على ذلك، ممّا يجعل **حسّان بن ثابت** يحتدُّ غضبا، معتبرا نفسه أشعر منهما[3].

ويذكر صاحب الأغاني أنّ **الخنساء**، لقيت **هند بنت عتبة**، في أحد مواسم سوق عكاظ، ففاخرت كلّ واحدة منهما الأخرى، جاعلة نفسها أعظم العرب مصيبة، حيث قالت **الخنساء**[4]:[الطويل]

أَبَكِّي أَبِـــي عَـــمْـــرًا بِعَيْـــنٍ غَزِيرَةٍ ❁ قَلِيلٍ إِذَا نَـــامَ الخَلِيُّ هُجُودُهَـــا

وصِنْوَيَّ لاَ أَنْـــسَـــى مُعاوِيَـــةَ الّذِي ❁ له مِنْ سَراةِ الحَرَّتَينِ وُفُودُهَـــا

وَصَخْرًا ومَنْ ذَا مِثْلُ صَخْرٍ إذا غَدَا ❁ بِسَاحَتِـــهِ الأَبْطَالُ قَزَمٌ يَقُودُهَـــا

فـــذلك يَا هِنْـــدُ الرَّزِيَّـــة فَاعْلَمِـــي ❁ ونيرَانُ حَرْبٍ حِينَ شَبَّ وَقُودُهَا

فردّت عليها قائلة[5]:[الطويل]

أُبَكِّي عَمِيدَ الأَبْطَحَيْـــنِ كِلَيْهِمَـــــــا ❁ وَمَانِعَهَـــا مِنْ كُلِّ بَاغٍ يُرِيدُهَـــا

أَبِي عُتَـــيْبَةَ الخَيرَاتِ وَيْحَكِ فاعْلَمِي ❁ وَشَيْبَةُ وَالحَامِي الذِّمَارَ وَلِيدُهَـــا

أُولَئِـــكَ آلُ المَجْـــدِ مِنْ آلِ غَالِـــبٍ ❁ وَفِي العِزِّ مِنْهَا حِين يَنْمَى عَدِيدُهَا

إنّه مشهد تاريخيّ، يُترجم أثر المرأة، في تنشيط الحركة الأدبيّة، داخل الأسواق الكبرى، حيث نراها تنافس وتساجل غيرها، مؤكدة قدرتها على التّباري، في القول الشّعري، ممّا يعكس فهمها، وتمييزها لما يعرض منه، فإذا هي بعد ذلك، شاعرة متذوّقة، وناقدة متمكّنة.

ويبرز أكثر، دور المرأة النّقدي، من خلال المنتديات الصّغيرة التي يعقدها الشّعراء، فيما بينهم، حيث تُستدعى إليها النّاقدة، للفصل بين المتنافسين، على نحو ذلك اللّقاء الذي جمع بين **علقمة الفحل بامرئ القيس**، إثر تنازعهما الشّعر، فاحتكما إلى **أمّ جندب** التي طالبتهما، بوصف فرسيهما، مع التزام وحدة القافية، والرّوي فقال **امرؤ القيس** قصيدته التي مطلعها[6]:[الطويل]

خَلِيلَـــيَّ مُرَّا بِي عَلَـــى أُمِّ جُنْدَبِ ❁ نُقَـــضِّ لُبَانَاتِ الفُـــؤَادِ المُعَـــذَّبِ.

واستهلّ علقمة بائيته بقوله[7]:[الطويل]

ذَهَبْتِ مِنَ الهُجْرَانِ فِي كُلِّ مَذْهَبِ ❁ وَلَمْ يَـــكُ حَقًّـــا كُـــلُّ هَذَا التَّجَنُّبِ

وبعد الإنشاد، حكمت **لعلقمة**، على زوجها، لأنّ الأوّل لم يجهد فرسه، بل جعله يدرك الطَريدة، وهو ثان من عنانه، حيث قال[8]:[الطويل]

فَأَدْرَكَهُنَّ ثَانِيًـــا مِـنْ عَنَانِهِ ❁ يَـمُـرُّ كَـمَـرِّ الـرَّائِحِ المُتَحَلِّبِ

بينما راح **ذو القرح**، يتعب فرسه، بالسّوط والزّجر، وتحريك السّاقين حين قال[9]: [الطويل]

فَلِلسَّوْطِ أُلْهُوبٌ وللسَّـاقِ دِرَّةٌ ❁ وللزَّجْرِ مِنْـهُ وَقْـعُ أَهْوَجَ مِنْعَبِ

إنّ تاريخ النّقد العربي، يرتبط بهذه القصّة التي تظهر المرأة العربيّة، أوّل ناقد للشّعر، رغم تباين المواقف، بشأن الحكم، الذي أصدرته **أم جندب**، حيث شكّك بعض الدّارسين في صدقه وحقيقته، كما اعتبروه مرتجلا، وجزئيا يفتقر إلى الإحاطة والشّمول[10].

ويستمرّ **الشّعراء** بعد العصر الجاهلي، في انتداب المرأة قاضيا للشّعر، فتحضر لقاءاهم **التّنافسية**، بهدف الفصل، بين المتخاصمين في الإبداع الشعري، ومن ذلك أنّ **حميد بن ثور الهلالي**، و**العجير السلولي**، و**مزاحم العقيلي**، و**أوس بن غلفاء الهجيمي**، حكّموا **ليلى الأخيلية**، في وصفهم للقطاة، وبعد الاستماع إلى قول كلّ واحد منهم، حكمت **للعجير السلولي** قائلة[11]:[الطويل]

ألا كُلُّ مَـا قَالَ الرُّوَاةُ وأَنْشَدُوا ❁ بِهَـا غَيْـرَ مَا قَالَ السَّلُولِي بَهْرَجُ

وقد أثار حكمها ذاك، غضب **حميد**، فهجاها ردّا على موقفها من شعره ممّا يعني اعتداد الشّعراء بدور المرأة النّقدي، وتخوّفهم من الانتصار لمنافسيهم.

ويبدو اقتناع الشّعراء، بملكة المرأة في تذوّق الشّعر، ونقده واضحا جليا، من خلال عودتهم إليها، طلبا لرأيها، فيما نظموه من شعر، على نحو صنيع **الفرزدق**، حين سأل زوجته **نوّار**، المفاضلة بينه، وبين **جرير** فقالت:" **شاركك في مُرِّ الشّعر وغلبك في حلوه**"[12]. دلالة على تماثل الشّاعرين، في **غرض الهجاء** وتفوّق جرير في **الغزل**، فكشفت النّاقدة، بذلك قدرتها الفائقة، على تمحيص الشّعر، وإبداء الرأي النّقدي بكل جرأة، وموضوعية، مثلما فعلت **بثينة**، حين آخذت **عمر بن أبي ربيعة**، على تشبيبه بنفسه قائلة: " **والله يا عمر لا أكون، من نسائك اللاّتي يزعمن أن قد قتلهن الوجد بك**"[13]. فدلّت بذلك، على الاتجاه المنحرف في غزله، حيث يصوّر نفسه، في صورة المعشوق لا العاشق، والمطلوب لا الطّالب.

ونشير إلى أنّ المرأة المعشوقة، ساهمت في العملية النّقدية، من خلال توجيهها لشعر الشّاعر العاشق، على غرار **عزّة** التي استقبحت شعر **كُثير** وفضّلت عليه **الأحوص**، لأنّه ألين جانبا، وأضرع خدًّا للنّساء[14] وذلك حين يقول[15]:[البسيط]

يَــا أَيُّهَــا اللاَئِمِي فِيهَــا لأَصْرِمَهَا ❁ أَكْثَرْتَ لَوْ كَانَ يُغْنِي عَنْكَ إِكْثَارُ

أَكْثِرْ فَلَسْتَ مُطَاعًا إِذْ وَشَيْتَ بِهَــا ❁ لاَ القَلْــبُ سَالٍ ولاَ فِي حُبِّهَا عَارُ

وممّا لا شكّ فيه، أنّ إعجاب **عزّة** بأسلوب **الأحوص** في الغزل، سيدفع شعراء النّسيب، إلى اعتماده وتحقيقه، ليغدو بعد ذلك سمة، مميّزة للغزل العذري الذي، اكتسب العديد من خصائصه، بفضل النّقد النّسوي، حيث شجّع فحول الغزل، على تليين الشّعر، وترقيقه كما دعاهم إلى العفّة، والوفاء لعلاقة الحب، طبقا لقول الباحث:" **ولكنّ الشّاعرة في العصر الأموي، غيّرت مسار الشّعر، ووجّهت الشّعر الغزلي منه، تجاه الرّقة، حتى ظهر الشّعر العذري، الذي يظهر الرّجل، شديد التّعلق بالمرأة، شديد الوفاء لعلاقة الحب**"[16].

وموائد الشّعر عند العرب، لا تتوقف، ولا تنقطع، يعدّونها في كلّ الأمكنة، بما في ذلك المنازل، وبيوت الخلافة، حيث تقوم المرأة على إدارتها، والإشراف عليها، تارة راوية للشّعر، وأخرى موجّهة، وناقدة له فهاهي **هند بنت أسماء** في- حضرة زوجها **الحجاج بن يوسف**- تستنشد جريرا، ما شبّب به في النّساء، فيُنكر تشبيبه بهنّ، لبُغضه لهنّ، ويعرض عليها أبياتا، في مدح الحجاج، لكنّها واجهته، بجملة من الأشعار الغزلية، أشهرها قولُه[17]:[الكامل]

طَرَقَتْكَ صَائِدَةُ القُلُوبِ ولَيْسَ ذَا ❁ وَقْتُ الزِّيَــارَةِ فارْجِعِي بِسَلاَمِ

تُجْرِي السِّوَاكَ عَلَى أَغَرَّ كَأَنَّــهُ ❁ بَرْدٌ تَحَدَّرَ مِـــنْ مُتُونِ غَمَامِ

وبذلك أفحمته، بما تحفظ من شعر، ولإعجابها بملكته، أجزلت له العطاء، حيث أمرت له بجارية وكسوة[18].

2- عقد المرأة للمجالس الأدبيّة:

عرف الأدب العربي، في عصوره المختلفة، عناية واهتماما، إذ هيّأ له أبناؤه، سبل الإثراء والجودة. وقد شاركت مختلف الفئات، في النّهوض به، فالأدباء إنتاجا وإبداعا، وعامّة النّاس، رواية وجمعا، وأولوا الأمر، بذلا وتشجيعا.

ونتيجة لهذا الحرص، شاعت فكرة عقد **المجالس الأدبيّة**، فكتب الأخبار، تعرض صورة واضحة، عن نظام المجالس الفكريّة، والأدبيّة التي اتّخذها العلماء، والأدباء، وكذلك الخلفاء، من أجل تنشيط الحركة العلميّة، والأدبيّة، إلى جانب بعث روح المنافسة بين المفكّريين والأدباء.

ويبدو أن فكرة عقد المجالس، تعود إلى العصر الأموي، لتتوسّع خلال **العصر العبّاسي**، حيث يعمد الخليفة إلى إعداد اللّقاء، فيدعو له أعيان الدّولة، فتثار تحت إشرافه، مختلف القضايا، والمسائل بهدف الحوار والنقاش، وكثيرا ما يتحوّل الأمر، إلى جدل وحجاج، ومن أشهر تلك المجالس: **مجلس معاوية بن أبي سفيان، مجلس المعتضد، مجلس المهدي، مجلس هشام بن عبد الملك، مجلس هارون الرّشيد، ومجلس المأمون**[19].

واللاّفت للانتباه حضور المرأة لها، علما أنّ مشاركتها، في الكثير من الأحيان، تكون فعّالة وأساسيّة، فتبرز من خلالها، شاعرة مبدعة، وناقدة جريئة، وراوية متمكنة، وهي إلى جانب ذلك، تلازمها روح التّطلع، فلا تقنع بتردّدها، على مجالس الخلفاء، والشّعراء، لذلك تعمد إلى عقد مجالس أدبيّة، تتولّى من خلالها، تنشيط الحركة الشّعريّة حفظا، وإنشادا، وتقويما وبذلك غدت واحدة، من صيارفة الشّعر، يقبل عليها كبار المبدعين، طالبين رأيها، فيما أبدعوه، من قصائد في شتى صنوف القريض.

ومن المجالس النّسوية، التي شهدت توافد أهل اللّسن، والبيان، مجلس امرأة، يقال لها **عمرة**، اشتهرت بالفصاحة، والجزالة، فراح أرباب الكلمة يجتمعون إليها، بهدف المحادثة، ورواية الأخبار، وإنشاد الشّعر[20].

وتأبى المرأة، أن تظلّ أُذنا صاغية للشّعراء، أو ذاكرة تحفظ قصائدهم، لتنشدها، وإنّما تتجاوز ذلك، إلى مستوى تذوّق تلك القصائد، وإبداء الرّأي فيها، فصار الشّعراء، يقفون بباب مجلسها ينتظرون حكمها، كدأب **عقيلة بنت أبي طالب** التي عرفت بجلوسها للنّاس، لتفضي فيما يقولون، وكان **الشّاعر العذري**، ممّن وقف يوما، بباب مجلسها، فأذنت له، سائلة إيّاه عن قوله[21]:[الطويل]

فَلَوْ تَرَكَتْ عَقْلِي مَعِي مَا بَكَيْتُها ❁ ولَكِن طِلاَبِيهَا لَمَا فَاتَ مِن عَقْلِي

فآخذته على قوله، لأنّه لا يطلب محبوبته، إلاّ لذهاب عقله، وتُعلمه أنّه، لولا أبيات أخرى تعرفها له، ما استقبلته في مجلسها، وهي التي يقول فيها[22]:[الطويل]

عَلِقْــتُ الهَوَى وَلِيدًا فَلَـــمْ يَزَلْ ❁ إِلَـــى اليَوْمِ يَنْمَى حُبُّهَا وَيَزِيــدُ
فَلاَ أَنَا مَــرْجُوعٌ بِمَا جِئْتُ طَالِبًا ❁ وَلاَ حُبُّهَــا فِيمَا يَبِيــدُ يَبِيـــدُ
يَمُوتُ الهَــوَى مِنِّي إِذَا مَا لَقِيْتُها ❁ وَيَحْــيَ إِذَا فَــارَقْتُهَــا فَيَعُودُ

إنَّ موقف النّاقدة، ها هنا، يشي بموهبتها في فهم الشّعر، وتمييزه، فهي تنبئ الشّاعر، بمواطن إجادته وضعفه، دالة إيّاه، على بعض المقاييس التي يقتضيها الغزل الجيّد، حتى يكون مأثورا لدى السّامعين، وفي هذا المقام، تكون **عقيلة**، قد نبّهت الشّاعر المتغزّل، إلى ضرورة إظهار الوفاء، والإصرار على حفظ العهد، وإن طال البيّن.

كما أنّها بمثل هذا النّقد، تضع أحكاما للنّسيب، وتدعو الشّعراء إلى الالتزام بها، وطالما أنّ الغزل موضوعه المرأة، فإنّها أعلم من غيرها، بما يجعل القصيدة الغزلية ناجحة.

وفي هذا الشّأن، تُطلّ علينا سيّدة، من اللواتي، تربّعن، على عرش الحسن والبيان، ممثّلة في شخص **عائشة بنت طلحة**، التي ارتبط اسمها، بالمجالس النّسوية، الأكثر شيوعا وانتشارا[23].

لقد كانت هذه السيّدة، تكثر من عقد اللّقاءات الأدبية، فيتهافت الشّعراء إلى مجلسها، ليضعوا بين يديها بضاعتهم الشّعرية، فها هو **النّميري**، على سبيل المثال، يعرض في حضرتها، ما أنشده في زينب أخت الحجّاج، إذ قال[24]:[الطويل]

مَرَرْنَ بِفَــخٍّ ثُــمَّ رُحْنَ عَشِيَّــةً ❁ يُلَبِّيـــنَ للرَّحْمَنِ مُعْتَمِــرَاتِ
يُخَبِئْنَ أَطْرَافَ البَنَانِ مِنَ التُّقَــى ❁ وَيَخْرُجْنَ جُنْحَ اللَّيْلِ مُعْتَمِرَاتِ
وَلَمَّا رَأَتْ رَكْبَ النَّمِيرِي رَاعَهَا ❁ وَكُــنَّ مِنْ أَنْ يَلْقَيْنَهُ حَــذِرَاتِ

فحكمت له بالبراعة والإجادة، لأنّه قال كلاما جميلا، يكشف عن تديّن، وتقوى أخت الحجّاج، مراعيا فيه حرمة، وقداسة المكان الذي تواجدت فيه.

ولم تكن **عائشة** وحدها، من ذاع صيتها، في ميدان مجالس النّساء، وإنّما نلتقي بسيّدة أخرى، لعبت دور المرأة النّاقدة المثقّفة التي حقّقت شروط النّقد النّاجح، وفقا للحال، التي كان عليها النّقد العربي في تلك الفترة.

إنّها السيّدة **سكينة بنت الحسين**، الشّخصية النّسوية الأولى، في المجتمع الحجازي، استطاعت أن تحصّل مكانة مرموقة، لم ترق إلى مثلها سواها، بفضل السّجايا،

التي انفردت بها، عن باقي حسان عصرها، من القرشيات، والهاشميات، فبدت من خلال مواقف عديدة، معتدّة بنفسها، وبحسبها الرّفيع الّذي أذعن له خصومها، قبل أنصارها[25].

وعموما، فإنّ مصادر الأخبار، والرّوايات تبرزها، سيدة مجتمع متحرّرة، من النّفاق الاجتماعي، دون أن يخدش ذلك مهابتها، ووقارها، أينما ذهبت، وحلّت. وبتلك التّركيبة، ولجت عالم الأدب، وارتادت بعزّة، وكبرياء حلقات أهله، والأكثر من ذلك، اتّخذت لنفسها مجلسا أدبيا، ضربت فيه موعدا لفرسان القوافي، وأجلّة رجال الفكر، والإبداع، وبتوالي الأيام، حمّلوها لواء النّقد، في بلاد الحجاز، لما كان لها من حبّ للأدب. يقول عنها **عبد العزيز عتيق:**" **والسيّدة سكينة، عرفت بذوقها الأدبي، ونقد الشّعر والغناء، وكان الشّعراء والأدباء، والمغنّون، ورواة الشّعر، يختلفون إلى مجلسها، ويتحاكمون إليها فتنقدهم، وتجيز الشّعراء على ما تراه حسنا من قولهم**"[26].

ويؤكّد قوله، كلام **العفيفي**" **وكانوا يفيدون على دارها، من كلّ صوب، وحدب، وكلّهم قد عقد يده، على خير ما قال**"[27]. وهكذا، أقرّ لها أمراء الشّعر، بالزّعامة النّقدية، إيمانا منهم، بعلوّ كعبها في فنّ القول، ورهافة حسّها في ذوق الشّعر، والبصر بأسرار بلاغته ومواطن تأثيره.

وبالعودة إلى المصادر، نقف لها على جملة من الأخبار، التي تكشف ما كان لها، من ملاحظات وتعليقات، على كبار الشّعراء، وفحولهم، فتتوضّح عندئذ، الأسباب التي من أجلها ألقيت إليها مقاليد النّقد الأدبي. ومن ذلك أنّ **جرير او الفرزدق وكثيرا، وجميلا ونصيبا،** اجتمعوا يوما في ضيافتها، فأذنت لهم، وقد اتّخذت وصيفة، تروح وتجيء، لتنقل إليهم، ما اختارت من شعرهم، وما انتهت إليه من حكم[28]. وبعد فراغها من تقييمهم، واحدا تلو الآخر، أبدت إعجابها بقول كثير[29]:[الطويل]

وَأَعْجَبَنِي يَــا عَــزُّ مِنْكِ خَلاَئِــقٌ ❁ كِرَامٌ إِذَا عُـــدَّ الخَلاَئِــقُ أَرْبَعُ

دُنوّكِ حَتَّى يَذْكُرَ الجَّاهِلُ الصِّبَــا ❁ وَدَفْعُكِ أَسْبَابَ المُنَى حِينَ يَطْمَعُ

فالسيّدة النّاقدة، أجازت الشّاعر، لأنّه أحسن التّعبير، عن عزّة المرأة، وتمنّعها.

إنّها ناقدة جريئة، تعي جيّدا أساليب النّظم، وتتصدّى لسقطات الشّعراء، في حزم، ولربّما أعجبها قول الشّاعر، في موضع ما، لكنّه تعثّر في الآخر، فلا تتوانى عن محاسبته، كما فعلت مع **كثير** حين قال[30]:[الطويل]

فَمَا رَوْضَةٌ بالحَزْن طَيِّبَةَ الزَّرعِ ❁ يَمُجُّ النَّدَى جَثْجَاثُهَــا وَعَرارُهَــا

بِأَطْيَــبَ من أَرْدَانِ عزّة مُوهِنا ❁ وَقَدْ أُوقِدَت بالمِنْدَلِ الرَّطْبِ نَارُهَا

حيث آخذته، على هذا الوصف الذي لا يُعطي للمحبوبة تميّزا، ذلك لأنّ أيّ من بخر بمندل رطب تطيّب وكان الأجدر به أن يقول، كما قال أمرؤ القيس[31]:[الطويل]

أَلَمْ تَرَيَانِي أَنِّي كُلَّمَا جِئْتُ طَارِقــاً ❁ وَجَــدْتُ لَهَا طِيبًا وإن لم تَطَيَّــبِ

فهذا نقد، كما يراه أهل الاختصاص، صادر عن ذوق مرهف، وحس دقيق بالجمال[32].

ولكونها نادرة عصرها، بصرا بالشّعر، احتكم إليها جهابذة القريض، من أمثال **أصحاب النّقائض**، فكانت تقدّم **جريرا** على **الفرزدق**، دون موالاة، أو مجاملة، إذ يذكر أنّها سألت يوما **الفرزدق**، عن أشعر النّاس، فقال: أنا فعارضته، وردّت الأمر إلى صاحبه، لقوله[33]:[الكامل]

لَوْلاَ الحَيَاء لَعَادَنِــي استِعْبَــارُ ❁ ولَزُرْتُ فبركِ والحَبِيبُ يُزَارُ

فهذه الرّواية، تبيّن أنّ السيّدة الكريمة، توجّه الشّعر، نحو ذوق معيّن فهي تريد من الشّاعر، أن يكون أكثر رقة لمحبوبته، وأشدّ تعلّقا بها، وما من شكّ، أنّ هذا التّوجيه، سيصل إلى الشّعراء، لأنّ رأيها يهمّهم.

إن فطنة هذه النّاقدة، بادية من خلال، تلقّيها الشّعر، فهي دقيقة اللّمح، لسرّ القول، ودليل ذلك، أنّها حين سمعت قول **عروة بن أذينة**[34].

قَالَتْ وأَبْثَثْتُهَا سِرِّي فَبُحْــتُ بِــهِ ❁ قَدْ كُنْتَ عِنْدِي تحبُّ السِّتْرَ فاسْتَتِرْ

أَلَسْتَ تُبْصِرُ مِن حَوْلِي؟ فَقُلْتُ لَهَا ❁ غَطَّى هَوَاكِ ومَا أَلْقَى عَلَى بَصَرِي

أدركت أنّه، لم يقل هذا الشّعر، على مذهب الشّعراء– كما زعم– وإنّما نطق عن تجربة حقيقية، ومعاناة صادقة، وهي بهذا، تكون قد اهتدت بذوقها المرهف، إلى أنّ البيتين، يعبّران، عن نبض قلب جريح، أضناه الحبّ، وأرهقه.

وهكذا، تظهر **السيّدة سكينة**، واحدة من أعلام النّقد العربي، في عصرها تشتد في رقابتها على الشّعراء، وتكشف عيوب شعرهم، بكلّ صراحة، وموضوعية، داعية إلى التزام مقوّمات الشّعر، من صدق العاطفة، وعمق المعاناة، والسموّ بالشّعر، إلى آفاقه الجمالية، حتّى لا تغدو معانيه ساذجة، مبتذلة ومتكلّفة.

وبهذا تكون المرأة، قد شاركت، في بلورة الحركة النّقدية العربيّة، من خلال ما أطلقته، من أحكام توجيهيّة، ساهمت بها في إثراء القواعد النّقدية.

الهوامش:

1- ينظر في تاريخ النّقد والمذاهب الأدبيّة، محمد طه الحاجري، دار النّهضة للطّباعة والنّشر، دط، 1982، ص 18.

2- ديوان الخنساء، دار بيروت للطّباعة والنّشر، بيروت، دط، 1978، ص 41.

3- ينظر أسواق العرب، عرفان محمد حمور، دار الشّورى بيروت، دط، دت، ص 155.

4- ديوان الخنساء، ص 44.

5- المصدر نفسه، ص 43.

6- ديوان أمرىء القيس، إشراف غسان شديد، دار نوبليس، بيروت، لبنان، دط، دت، ص 30.

7- ديوان علقمة بن عبدة، شرح سعيد نسيب مكارم، دار صادر، بيروت، ط1، 1996، ص 09.

8- المصدر نفسه، ص 06.

9- ديوان أمرىء القيس، ص 13.

10- ينظر اللّقاءات الأدبيّة في الجاهليّة والإسلام، عدنان عبد النبيّ البلداوي، مطبعة الشّعب، بغداد، ط1، دت، ص 37- 38.

11- ديوان ليلى الأخيليّة، تح، واضح الصّمد، دار صادر، بيروت، لبنان، ط2، 2003، ص 33.

12- أنساب الأشراف، أحمد بن جابر البلاذري، ج4، مكتبة المثنى، بغداد، دط، دت، ص 166.

13- تاريخ النّقد الأدبي، عند العرب، عبد العزيز عتيق، دار النّهضة العربيّة للطّباعة والنّشر، ط1، 1986، ص 137.

14- زهر الآداب، وثمر، الألباب، أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري، ج1، تح، علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، ط2، دت، ص 350.

15- المصدر نفسه، ص 350.

16- الرّجل في شعر، المرأة، عمر بن عبد العزيز السّيف، الانتشار العربي، بيروت، لبنان، دط، 2008، ص 120.

17- ديوان جرير، دار صادر، بيروت، دط، دت، ص 452.

18- ينظر مروج الذّهب، ومعادن الجوهر، أبو الحسن، علي بن الحسين بن علي المسعودي، ج2، تح: عفيف نايف حاطوم، دار صادر، بيروت، دط، 2005، ص 370- 371.

19- ينظر زهر الآداب، وثمر الألباب، الحصري، ج2، ص 643- 668- 815.

20- ينظر الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، م7، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط5، 1981، ص 144.

21- الموشّح في مآخذ العلماء على الشّعراء، أبو عبد الله المرزباني، تح محمد حسين شمس الدين، دار الكتب، العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1995، ص 194.

22- المصدر نفسه، ص 194.

23- ينظر عائشة بنت طلحة، كمال بسيوني، دار المعارف، مصر، ط2، 1953، ص 29.

24- الأغاني، أبو الفرج، الأصفهاني، م6، ص 192.

25- ينظر سكينة بنت الحسين، عائشة عبد الرّحمن، دار الفكر العربي بيروت، لبنان، دط، 1979، ص 155.

26- تاريخ النّقد الأدبيّ عند العرب، عبد العزيز عتيق، ص 142.

27- المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها، عبد الله عفيفي، ج2، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1982، ص 175.

28- ينظر الموشّح، أبو عبد الله المرزباني، ص 201.

29- ديوان كثير، شرح عدنان زكي درويش، دار صادر، بيروت، ط1، 1994، ص 137.

30- المصدر نفسه، ص 147.

31- ديوان امرئ القيس، ص 64.

32- ينظر بيئات نقد الشّعر عند العرب، إسماعيل صيفي، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندريّة، ط2، 1990، ص 25.

33- ديوان جرير، ص 154.

34- ديوان عروة بن أذينة، دار صادر، بيروت، ط1، 1996، ص 33.